بعض التحولات في الفكر الصهيوني

ليلى السايح

من بين أكثر الجبهات تأثيراً، كانت ولا تزال، جبهة الصراع الفكري، التي تنفرد، دائماً، في كونها محصّلة عوامل وقوى مادية، تمارس تأثيرها على الارض. ولا يصدق هذا القول بحذافيره، كما يصدق على قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي والقضية الفلسطينية.

وربما من المفيد، هنا، التذكير بسببية، هي أساس، يمارس عبرها العدو الصهيوني، تأثيره على الفكر العالمي، الذي هو بالضرورة، فكر تراثي توراتي، قبل ان يكون فكراً حضارياً تاريخياً. ولنستعين بملمح للتاريخ القريب، ولنتلمّس ممارسات مادية على الارض، تثبت دلالات تطبيقية لاستغلال الصهيونية للفكر التلمودي في تغلغلها السياسي والجغرافي التوسّعي.

لم تبدأ هذه الممارسات العام ١٩٤٨، كما قد يعتقد البعض، انما منذ وقت مبكر من القرن الماضي. لكن الممارسة الفعلية على الارض، بدأت منذ الاحتلال للارض الفلسطينية العام ١٩٤٨، والبدء في تغييب وجود الشعب الفلسطيني، حيث أكتملت ممارسة الحركة الصهيونية، كوجود فعّال على الصعيد العالمي، وعلى الساحات العربية أيضاً، واستطاعت ان تخفي حقيقتها العدوانية التوسّعية والعنصرية عن العالم الى وقت قريب.

ظلّت ادعاءات الحركة الصهيونية تهيمن على الفكر العالمي الى ان برزت حركة المقاومة الفلسطينية في العام ١٩٦٥، وتمكّن الشعب الفلسطيني من إعادة تصحيح بعض أكاذيب الادعاءات في الفكر العالمي، تلك التي تستند الى مقولات مثل: «أرض الميعاد» و«أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»، وما رافق ذلك من ضغوط لزرع المشروع الصهيوني في قلب المنطقة العربية ليكون أداة لمصالح الغرب في المنطقة ولبسط سلطته عليها.

ولا شك ان لحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أثراً كبيراً في لفت أنظار العالم الى توسّعية وعدوانية اسرائيل، لكن العامل الاساس الذي أدّى الى وقوف الامم المتحدة، في حينها، الى جانب الحق الفلسطيني، لم يكن غير النضال الفلسطيني المسلّح، وما أحدثته الانتفاضة في الارض المحتلة من تغييرات ـ جزئية أو جذرية ـ على الصعيد العالمي في الوقت الحالي.

الفكر التلمودي والتاريخ العرقي

عند التحدث عن نقطة انطلاق الى فكرة خاطئة، استطاعت الحركة الصهيونية تثبيتها، يقتضي الغوص في أعماق التاريخ، لأن هذه الفكرة ليست وليدة عصر حديث يبدأ بعهد ثيودور هرتسل، إنما تمتد عميقاً لتسبق التاريخ المتداول، وبدءاً من توحيد تاريخ العهد القديم والعهد الجديد في